



نظرية " عدالة الصحابة " صنعها الأمويون للتغطية على جرائمهم (2 - 8)

بقلم : رائف محمد الويشي

10 أبريل 2014

تحدثنا في الحلقة الأولى عن نشوء نظرية عدالة الصحابة الأموية ، وذكرنا الآيات والأحاديث والأدلة العقلية التي ترد عليها ، كما ذكرنا تعريف الصحابة عند بعض العلماء المؤيدين لتلك النظرية الأموية حيث يعتبرونهم عدولا ..

في الحلقة الثانية اليوم سنذكر صفات الصحابي عند المؤيدين لنظرية عدالة الصحابة وما أصدره من فرمان أموي بحق كل من لا يؤمن بها ، فهو – في نظرهم - زنديق وكافر ومنكر للقرآن والسنة !!

صفات الصحابي عند المؤيدين نظرية عدالة الصحابة

قال ابن حجر العسقلاني – توفي في عام 852 هـ- في الإصابة في معرفة الصحابة (ج 1 ص 22) عن الخطيب البغدادي في الكفاية قوله في صفات الصحابة ما يلي :

" ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة ، وأنه لا يُحتاج إلى سؤال عنهم ، وإنما يجب فيمن دونهم كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن ، والأخبار في هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم " ..

ويضيف العسقلاني في نفس المصدر السابق (ج 1 ص 162) بعض الصفات للصحابي عند أهل السنة ، فيقول التالي :
" اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة ، وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلا نفيسا في ذلك ، فقال : عدالة الصحابة ثابتة معلومة ، بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم " ..

ويقول العسقلاني في نفس المصدر (ج 1 ص 163) ما يلي :
" قال محمد بن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا ، قال الله تعالى : " لا يستوي منكم من أنفق ... " .. وقال تعالى " إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ... " فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنهم لا يدخل أحد منهم النار ، لأنهم المخاطبون بالآيات السابقة " ..

ويذكر ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة في الصحابة (ج 1 ص 10) عن صفات الصحابة ما يلي :
" الصحابة يشاركون في ذلك (أي رواية الحديث) إلا في الجرح والتعديل ، فإنهم كلهم عدول ، لا يتطرق إليهم الجرح ، لأن الله عز وجل ورسوله زكياهم وعدلاهم ، وذلك مشهور لا نحتاج إلى ذكره " ..

يؤكد ابن عبد البر – توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب (ج 1 ص 117) قول ابن حجر العسقلاني والخطيب البغدادي في صفات الصحابة ، وذلك كما يلي :

" وهم صحابته الحواريون الذين وعوها ، وأدوها ناصحين محسنين ، حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين ، فهم خير القرون ، وخير أمة أخرجت للناس ، وقد أثنى الله عز وجل عليهم ، ورضي رسول الله عنهم ، ثبتت عدالة جميعهم ، بثناء الله عز وجل عليهم ، وثناء رسوله ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته ، ولا تركية أفضل من ذلك ،

ولا تعديل أكمل منه " ..

يأخذنا العلامة السلفي الوهابي ابن العثيمين في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص 477) إلى فضاء أوسع بكثير مما أخذنا إليه العسقلاني والخطيب البغدادي وابن الأثير وابن عبد ربه في ذكرهم لصفات الصحابة ، فيقول ما يلي :
" لا شك أنه حصل من بعضهم - يعنى الصحابة- سرقة ، وشرب خمر ، وقذف ، وزنى بإحصان ، وزنى بغير إحصان ، لكن كل هذه الأشياء تكون مغمورة في جنب فضائل القوم ومحاسنهم ، وبعضها أقيم فيه الحدود فيكون كفارة .."

ونذكر التعليقات التالية على ما قاله العسقلاني وابن الأثير وابن عبد البر وابن العثيمين :

أولا :

- تبيين النصوص التي ذكرناها بالفقرة أن علماء أهل السنة التزموا بنظرية " عدالة الصحابة " ، لكنهم يحضون الناس بين السطور إلى رفع تلك العدالة إلى مستوى " العصمة " ، وقد رصدنا ذلك في الفقرات التالية :
- 1- لا تسأل الصحابي في سند الحديث فهو فوق الجرح !
 - 2- طهارة الصحابي معلومة بنص قرآني ، لاحظ اختيار اللفظ لينافس النص الذي اختص به القرآن أهل البيت بطهارتهم في الأحزاب رقم 33 ، ونحن نتحدى أن يكون هناك نص قرآني ذكر طهارة الصحابة ، بل المذكور فقط طهارة أهل البيت !
 - 3- هم حواريون !
 - 4- لو قام الصحابي بالزنا والسرقه وشرب خمر ، فهذه كلها أشياء صغيرة في مقابل كونه صحابي !

ثانيا :

العسقلاني يجمع بين الآيتين في سورتي الحديد والأنبياء (10 / 101) ترتيبا ويخرج منها بنتيجة وهي قوله : " فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنهم لا يدخل أحد منهم النار ، لأنهم المخاطبون بالآيات السابقة " ..
- آية الحديد رقم 10 : " لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير " ..
- آية الأنبياء 101 : " إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " ..

وهنا توجد نقطتان :

- 1- الآية مشروطة بخواتيم العاقبة وحسنها ، وليست عامة مفتوحة على جميع أصحاب رسول الله ، وإلا لدخل الوليد بن عقبة ضمن تلك الآية ، ومعه رجال بن عوفة الذي تعلم القرآن في مسجد رسول ثم ارتد بعد وفاته وباع مسيلمة الكذاب نبيا ، أو لدخل " الصحابي " أبو غادية الجهني الذي قتل عمارا الذي واعد النبي (ص) مع أسرته على الجنة وجعل قاتله ضمن الفئة الباغية ، والحديث من المتواترات ويعد من علامات النبوة ..
كما ذكرنا في الحلقة الرابعة حالة " الصحابي " قزمان الذي قاتل في أحد - أي قبل الفتح - قتال الأبطال ، ورغم ذلك أكد النبي (ص) أنه من أهل النار ، ومثله حالة الرجل الذي قاتل يوم خيبر - أي قبل الفتح - قتال الأبطال ، وأكد النبي (ص) أيضا أنه من أهل النار ، فالنية حينها لم تكن خاصة لله ، ومعلوم أن الجهاد بالنفس أعلى من الجهاد بالمال ..

إذن عندما يقول العسقلاني بموجب هاتين الآيتين : " ثبت أن الجميع من أهل الجنة " فهو لا يصيب الحقيقة ، سواء بالنسبة لكل الصحابة البالغ عددهم أكثر من مائة ألف ، وهم في أغلبهم لم ينفقوا ولم يقاتلوا ، أو سواء بالنسبة للفئة التي قاتلت وأنفقت ، وذكرنا فيها حالة قزمان ورفيقه ..

ذكر ابن كثير في تفسير الآية التي بعدها (ألم نكن معكم) والتي تفسر الآية المذكورة ما يلي : " أي ينادى المنافقون المؤمنين : أما كنا معكم في الدار الدنيا ، نشهد معكم الجماعات ، ونصلى معكم الجمععات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات ، قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم " ..

إذن تؤكد رواية ابن كثير هنا (ومثله رواية مالك في الحديث الثاني ورواية البخاري في الحديث الحادي عشر بالحلقة الأولى) أن خواتيم الأعمال هي الركيزة الأساسية ..

2- تشترط الآية الإنفاق والقتال ، فهل فعل ذلك الخلفاء الثلاثة؟! أحدهم أنفق وهو عثمان ، لكن ثلاثتهم هربوا في قتالهم ، ولا يوجد نص واحد يثبت أن أحدهم قتل مشركا واحدا في كل حروب النبي (ص) ، الزبير بن العوام أنفق وقاتل وقتل ، لكن خاتمته كانت في مواجهة إمام زمانه (ع) في يوم الجمل ..

قال ابن حبان – توفى في عام 354 هـ - في صحيحه (ج 1 ص 160) عن أصحاب رسول الله ما يلي :
" كلهم كثرة ، سادة ، قادة ، عدول ، نزه الله عز وجل أقدار أصحاب رسول الله (ص) عن أن يلزق بهم الوهن ، وفي قوله " ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب " أعظم الدليل على أن الصحابة كلهم عدول ، ليس فيهم مجروح ولا ضعيف ، إذا لو كان فيهم مجروح أو ضعيف ، أو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله : " ألا ليبلغ فلان وفلان منكم الغائب ، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول ، وكفى بمن عدلهم رسول الله شرفا " ..

ويوجد في ما قاله ابن حبان أربعة تعليقات تالية :

1- ابن حبان اقتطع الحديث من أمر توجيهي قاله النبي (ص) في الحج ، والحديث الأصلي هو ما يلي :
قال البخاري في صحيحه (ج 2 ص 191) عن ابن عباس أن رسول الله خطب الناس يوم النحر ، فقال ما يلي :
" يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ، قال : لأي بلد هذا ؟ قالوا : البلد الحرام ، قال : لأي شهر هذا ؟ ، قالوا : الشهر الحرام ، قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا " .. فأعادها مرارا ، ثم رفع رأسه فقال : " اللهم هل بلغت ؟ ، اللهم هل بلغت ؟ فليبلغ الشاهد الغائب ، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ..

2- حديث البخاري يؤكد على عكس ما يدعو إليه ابن حبان ، لأن مناشدته وتوجيهه فيهم بالألا يقتلوا بعضهم بعضا يدل على خوفه من بقايا جاهلية فيهم ، ولو كان النبي (ص) على ثقة من تخلصهم من الجاهلية لما قال هذه النصيحة ، فهل وقع ما حذر منه النبي (ص) ؟ نعم وضربوا رقاب بعضهم البعض !

3- قد يقول قائل : لكن النبي وثق فيهم بدليل أنه طلب منهم أن يبلغ الشاهد الغائب ! والرد على ذلك هو أن مهمة الأنبياء هي التبليغ في أكبر عدد من السامعين لهم لإثبات الحجة ، كي يتم حساب من خرق العهد ..

4- يحاول ابن حبان إثبات حجته ، فيدلل عليها بأن النبي (ص) كان بمقدوره اختيار الخاصة والثقة من أصحابه ليبلغوا العامة منهم ، فلما لم يفعل – في نظره – فالكل عدول!!
هذا استدلال في غاية الوهن يا ابن حبان ، هل هناك نبي يختار خاصة من أصحابه ليبلغوا العامة ؟ لقد صحب النبي العامة في حروبه ، وفيهم المنافقون وهو يعلم بهم ، التبليغ النبوي لكل الأنبياء كان دائما بين العامة من الناس ، هكذا فعل كل الأنبياء ، فعله نوح وموسى ومن قبلهما وبعدهما ، وهل يعطينا ابن حبان نموذجا فعله النبي (ص) لما يدعيه؟! هل اختار (ص) خاصته ليبلغوا العامة في الحديبية ، أو في الغدير ، أو في أي خطبة من خطبه؟! أقصى ما قاله النبي (ص) في ذلك هو قوله : فليبلغ منكم الشاهد الغائب!..

ويقول عبد الله ابن عدى الجرجاني – توفى في عام 365 هـ - في الكامل في الضعفاء (ج 1 ص 9) ما يلي :
" طبقة الصحابة ، هم رضوان الله عليهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، وعرفوا التفسير والتأويل ، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته وإقامة دينه... فحفظوا عنه صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغهم عن الله عز وجل وما سن وشرع... ففقهوا الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده... وشرفهم الله عز وجل بما من عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة - فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والفخر ، وسَمَّاهم عدول الأمة ، قال تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " ، والوسط : العدل ، فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدين ونقله الكتاب والسنة " ..

يذكر الجرجاني في فقرته – كالأخرين – كلاما عاما ثم يبني عليه نتائج لا علاقة بها بما يذكره ، فلو أن الصحابة فهموا الدين والتأويل ، فلما اقتتلوا فيما بينهم؟! وما هي علاقة " كلهم عدول " بالآية التي ذكرها والتي سنذكرها في الحلقة الثالثة؟!!

(ملاحظة : ولد أبو أحمد ابن عدى الجرجاني في عام 227 هـ في جرجان في وسط آسيا ، يعتبر من أكبر المحققين عند أهل السنة في علم الحديث وقد

ارتحل من أجل ذلك في رحلات عديدة بين سمرقند والإسكندرية ، ويعد كتابه الكامل في الضعفاء من المصادر الأساسية عند أهل السنة في الجرح) ..

ما حكم من انتقص الصحابة عند القوم ؟

في فقرة تعريف الصحابة بالحلقة الأولى ، علمنا أنهم وصلوا بالتعريف حتى إلى الأطفال الذين رأوا النبي (ص) ، بل من رأى النبي (ص) وهو ميت يعتبر أيضا صحابيا ..
في فقرة صفات الصحابة بالحلقة الثانية ، علمنا أن القوم أدخلوا الصحابة إلى الجنة بغير حساب ، فمهما فعلوا من ذنوب في الدنيا إلى أن ذلك يعد شيئا صغيرا لو قارناه بكونهم صحبوا النبي (ص) ورأوه ..

إذن لو انتقدنا – وفقا لتعريفهم – واحدا من أهل الجنة (هم بنصوصهم أدخلوا الصحابة إلى الجنة وكأن عندهم مفاتيحها) فالزندقة ستكون المكان الذي سنوضع فيه !!

يقول القرطبي – توفى في عام 671 هـ - في تفسيره (ج 16 ص 298) عن عدالة الصحابة ما يلي :
" فمن نسبه - يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم- أو واحدا من الصحابة إلى كذب ، فهو خارجٌ عن الشريعة مبطلٌ للقرآن طاعنٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى ألحق واحد منهم تكذيبا ، فقد سببٌ لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابه ، فالمكذب لأصغرهم ولا صغير فيهم داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه " ..

يقول ابن حجر العسقلاني – توفى في عام 852 هـ - في الإصابة في معرفة الصحابة (ج 1 ص 162) نقلا الخطيب البغدادي في الكفاية أنه قال ما يلي :

" ثم روى بسنده أبي زرعة الرازي ، قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة " ..

يحتج علماء القوم بكلام أبي زرعة الذي أوردناه لترهيب كل من ينتقد نظرية " عدالة الصحابة " ، رغم أن كلامه به استصغار لعقول الناس ، فهو هنا يختار فئة خاصة من المؤمنين - الذين نقلوا القرآن وصحيح الحديث - ثم يعمم تلك الفئة على كل من رأى النبي (ص) ليخرج بنتيجة هو يخطط لها سلفا ، ومحتواها : لا تنتقد هؤلاء القوم وإلا فأنت زنديق !

إذا كان علماء القوم يحتجون بكلام أبي زرعة ، فهل يقبلون كلامه في البخارى ومسلم !؟

نحن نسوق للقارئ كلام أبي زرعة الرازي – توفى في عام 267 هـ - في البخارى (صاحب أصح كتاب بعد القرآن عن أهل السنة !) ومسلم :

1- قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي – توفى في عام 327 هـ - في الجرح والتعديل (ج 7 ص 191) ترجمة محمد بن أبي إسماعيل البخارى ما يلي :

" محمد أبو إسماعيل البخارى (أبو عبد الله) قدم عليهم (أي على الفقهاء) الري سنة 250 ، روى عن عبدان المرزوى وأبي همام الصالدي بن محمد والفاريابي وأبي أويس ، سمع منه أبي (أي أبو حاتم) وأبو زرعة ، ثم ترك حديثه (رأى اسقطا حديثه) عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابورى أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق " ..

واضح من الرواية أن أبا زرعة كان يقول أن من يقول أن لفظ القرآن مخلوق يعتبر زنديقا ، وبالتالي يجب أن تأخذوا كلام أبي زرعة الرازي في البخارى في أنه زنديق ..

2- قال الخطيب البغدادي – توفى في عام 463 هـ - في تاريخ بغداد (ج 5 ص 29) عن سعيد بن عمر البردعي أنه قال :
" شهدت أبا زرعة ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج ، ثم الفضل الصائغ على مثاله (رجل آخر ألف كتابا في الحديث) فقال لي أبو زرعة : هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه ، فعملوا شيئا يتسوقون به (أي يتاجرون به) ألفوا كتابا لم يسبقوا إليه ليقوموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها " ..

3- قال الذهبي – توفي في عام 748 هـ - في سير أعلم النبلاء (ج 12 ص 571) عن أبي قريش الحافظ أنه قال ما يلي :
" كنا عند أبي زرعة الرازي ، فجاء مسلم بن الحجاج ، فسلم عليه وجلس ساعة وتذاكرا ، فلما ذهب ، قلت لأبي زرعة : هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح ، فقال : ولم ترك الباقي؟! ليس لهذا عقل ! ، هذا مجنون ! ... لو دارى (أي لو تتلمذ على يد) محمد بن يحيى (أحد فقهاء الحديث) لصار رجلا !.. " ..

يضيف العسقلاني في الإصابة في معرفة الصحابة (ج 1 ص 163) نقلا عن كلام الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ، والذهبي في الكباير (ص 252 / 251 – الكبيرة السبعون ، سب أحد الصحابة رضوان الله عليهم) ما يلي:
" والأحاديث الواردة في تفصيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من تحديث عبد الله بن مغفل قال ، قال رسول الله : " يقول الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب .. وقال : " لا تسبوا أصحابي ، فالذى نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد (مكيال) أحدهم ولا نصيفه ، مخرج في الصحيحين .. وقال : " الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا من بعدى ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه " ..

ونضع التعليقات الستة التالية على ما سبق قوله في الإصابة للعسقلاني :
أولا :

روى البخارى – توفي في عام 256 هـ - في صحيحه (حديث رقم 3673) ، ومسلم – توفي في عام 261 هـ - في صحيحه (2541) عن أبي سعيد الخدرى أنه قال ما يلي :
" قال رسول الله (ص) : لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مثل مد (مكيال) أحدهم ، ولا نصيفه " ..

علق العسقلاني في فتح الباري (ج 7 ص 34) على حديث " لا تسبوا أصحابي بما يلي :
" قوله : ولو أن أحدكم ، فيه إشعار بأن المراد بقوله أولا " أصحابي " هو أصحاب مخصوصون " .. أي أن النفي كان خاصا لبعض الصحابة ، وليس لعامتهم ..

ذكر مسلم – توفي في عام 261 هـ - في صحيحه (ج 7 ص 188) عن أبي سعيد الخدرى أن الحديث قيل في مناسبة أن خالد بن الوليد قد سب عبد الرحمن بن عوف (في فتح الباري للعسقلاني ج 7 ص 34 ذكر أبا بكر بدلا من عبد الرحمن بن عوف) ، وإن كان البخارى في صحيحه قد حذف – كعادته – اسم خالد وعبد الرحمن بن عوف وجعل الحديث عاما كي يبدو وكأنه أمر من النبي!

ثانيا :

إذا كنتم تكفرون من يسب أصحاب رسول الله ، فهذا هو سيفكم المسلول (الذي قتل صحابيا تقيا وفصل رأسه وطبخها وزنى بامرأته) يسب صحابيا ، فكيف تعممون نظريتهم التي تسمونها " عدالة الصحابة " على عامتهم ، وهو من خاصتهم وقد عرفتم سلوكه في حضور النبي؟!
إما أن تخصصوا نظرية " عدالة الصحابة " لخاصة أصحاب النبي ويبقى خالد في مكانه حسابه على الله كما يعتقد مذهب أهل البيت ، أو تجعلوها عامة على جميع أصحابه كما تفعلون ، لكن الأمانة تقتضى منكم حينئذ أن تكفروا خالدا (ومعه كل من ارتكب الكبائر منهم) لأنكم ترهبون بالتكفير كل من يسب أي صحابي عموما ، هل تجرؤون على ذلك؟!!

ثالثا : فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما بلغ مثل مد (مكيال) أحدهم ، ولا نصيفه ..

الثالث الأخير من حديث " لا تسبوا أصحابي " حيث ضالة أعمالنا ولو كانت بذهب أحد مقارنة بمكيال أحدهم يرد عليه من خلال قراءة الأحاديث الإحدى عشر التي ذكرناها بالحلقة الأولى ، فهي تبين أننا السائرين على درب النبي من بعده هم أخوانه ، وهذه مرتبة تعلق أصحابه ..

رابعا :

لو فحصنا حديث " الله الله في أصحابي .. ومن آذاهم فقد آذاني ... " جيدا لوجدنا التشابه اللفظي بينه وبين حديث النبي (ص) عن الزهراء (ع) :

قال البخارى في صحيحه (ج 3 ص 1144) ، ومسلم في صحيحه (ج 4 ص 1902) أن النبي (ص) قال عن الزهراء (ع) ما يلي :
" من أغضبها أغضبني " ..

قال ابن قتيبة الدينورى - توفى في عام 267 هـ - في الإمامة والسياسة (ج 1 ص 14) أن النبي (ص) قال عن الزهراء (ع) ما يلي :
" رضا فاطمة من رضي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني " ..

وهذا السلوك الهابط من المحاكاة والتقليد هو من عادات الأمويين ، يحاكون أحاديث جاءت لتصف مناقب أهل البيت ويقلبونها لصالحهم ، ونقدم لذلك أمثلة عديدة كما يلي :

1- عن عبد الله بن عمرو بن العاص : كنت عند النبي ، فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملتي ، قال : وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء ، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء ، قال: فطلع معاوية (وقيل الحكم) فقال النبي: " هو هذا " ..
* عن عروة بن الزبير : " حدثتني عائشة قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلى فقال : يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتي ! أو قال : ديني ! " ..

2- تركت فيكم ما إن تمسكت به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وعترتى أهل بيت " ..
* " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتي " ..

3- " أهل بيتي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم " ..
* " أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم " ..

4- الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة " ..
* أبو بكر وعمر سيذا كهول أهل الجنة " ..

5- " سدوا كل الأبواب إلا باب علي " ..
* " سدوا كل الأبواب إلا خوخة أبي بكر " ..

6- " أنا مدينة العلم وعلى بابها " ..
* " أنا مدينة العلم وعلى بابها ، وأبو بكر أرضها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفا ، ومعاوية مفاتيحها " ..

خامسا :

حديث الحوض المتواتر يرد على حديث " الله الله في أصحابي .. وقد ذكرناه في الحلقة الأولى ..

سادسا :

إذا فرضنا صحة حديث " الله الله في أصحابي " فهو لا يُحمل على التعميم في كل أصحاب النبي (ص) ، بل فقط في من أخلص له وحفظ وصيته في أهل بيته ونشر أحاديثه .. ولا نستبعد فيه القص لتحويله من خاص إلى عام) ..

ثم يقول الذهبي - توفى في عام 748 هـ - في نفس المصدر السابق (ص 252) ما يلي :
" فحب أصحاب النبي عنوان محبته ، وبغضهم وبعضه عنوان بغضه ... فمن سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم وإضرار الحقد عليهم ، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله من ثنائه عليهم وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل في المأثور والوسائل من المنقول ، والطعن

في الوسائط طعن في الأصل ، من طعن في صحابي ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لم تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته " ..

(ملاحظة : لاحظ الألفاظ الخطيرة للذهبي : من سبهم خرج من الدين - الطعن بهم هو طعن في القرآن والحديث ..
يعنى لو قلت أن عمر بن العاص - صاحب نظرية اجتهد وأصاب واجتهد وأخطأ التي يستند عليها أقاربه الأمويون - كان في الفنة الباغية لأنه قتل عمار بن ياسر طبقا للحديث الصحيح ، فإنك بذلك تخرج من الدين !) ..

يقول ابن أبي حاتم - توفي في عام 327 هـ - الرازي في الجرح والتعديل (ج 1 ص 7) عن عدالة الصحابة ما يلي :
" فأما اصطحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل ، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه فرضيهم له صحابة وجعلهم لنا أعلاما وقدوة ، فحفظوا عنه صلى الله عليه وسلم ما بلغهم عن الله عز وجل ، وما سن وشرع وحكم وقضى وندب وامرر ونهى وحظر وأدب ، ووعوه وأتقنوه ، ففقهوا في الدين ، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده - بمعاينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه ، فشرّفهم الله عز وجل بما من عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة ، فنفي عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسامهم عدول الأمة ، فقال عز ذكره في محكم كتابه " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " ففسر النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز ذكره قوله " وسطا " قال : عدلا . فكانوا عدول الأمة وأمة الهدى وحجج الدين ونقطة الكتاب والسنة " ..

(ملاحظة : ولد ابن أبي حاتم الرازي في عام 240 هـ ، كان أبوه - أبو حاتم الرازي - إماما في الجرح والتعديل ولازمه في رحلاته العديدة ، فنشأ محترفا في هذا العلم ، كان واسع الإطلاع والحفظ وصنف في الفقه والعقيدة والحديث وسمع من أبيه ومن أبي زرعة ، توفي ابن أبي حاتم في عام 327 هـ) ..

يذكر ابن تيمية - توفي في عام 728 هـ - في الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص 567) ما يلي :
" فأما من سب أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته وغيرهم فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضربا نكالا ، وتوقف عن قتله وكفره ... وقال ما أراه على الإسلام " ..

وقال ابن تيمية في نفس المصدر (579) ما يلي :
" وأما من قال : يقتل الساب (أي الذي سب الصحابي) ، أو قال : يُكفّر ، فلهم دلالات احتجوا بها قال عبد الله بن أدريس الأودي الإمام : ما آمن أن يكونوا قد ضاروا الكفار - يعنى الرافضة - لأن الله يقول : ليغيظ بهم الكفار ، وهذا معنى قول الإمام أحمد " ما أراه على الإسلام " ..

(ثلاث ملاحظات : **الملاحظة الأولى :** العسقلاني يؤيد أن من ينتقص من الصحابي يعتبر زنديقا ، وكما يعرف القارئ ، فالزنديق هو من لا دين له ..
الملاحظة الثانية : الذهبي يقول أن سب الصحابي يُخرج من الدين ، والشك فيما نقلوه من أحاديث يعتبر طعنا ، والطعن يعتبر سبا !!
الملاحظة الثالثة : ابن تيمية يؤيد قول الإمام أحمد في أن من سب صحابيا ليس على الإسلام !!) ..

وأضاف ابن تيمية في نفس المصدر (ص 582 / 583) ما يلي :
" وفي السنة من وجوه صحيحه عن بن يحيى بن عقيل : ثنا كثير من حديث أبي شهاب عبد ربه بن نافع الخياط بن كثير النواء عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده يرفعه ، قال : يجيء قوم قبل قيام الساعة ، يسمون الرافضة ، براء من الإسلام قال علي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة ؟ وإنك من أهل الجنة ، إنه سيكون بعدنا قوم لهم نبرز يقال لهم الرافضة ، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون ، قال : وقال علي رضي الله عنه : سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا ، يكذبون علينا ، مارقة ، آية ذلك أنهم يسيون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ... يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبرز يقال لهم الرافضة يعرفون به ، وينتحلون شيعتنا ، وليسوا من شيعتنا ، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر ، أينما أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون " ..

(ملاحظة : هل يعرف الناس الآن ممن استقى التكفيريون فتواهم التي بها يفجرون مساجد الشيعة؟! ، وهل يرى المنصفون أن العربات المفخخة والهوانات التي تحصد الشيعة يقف وراءها رجل واحد هو ابن تيمية؟!) ..

ويقول ابن تيمية في نفس المصدر (587) في من يشك في ارتداد أي صحابي ما يلي :
" من يشك في كفر مثل هذا (أي الذي يشك في الصحابة) فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق ، وأن هذه الآية التي هي : " كنتم خير أمة أخرجت للناس " ، وخير القرون قرني ، كانت عامتهم كفارا أو فساقا ، ومضمونها أن هذه الأمة كانت شر الأمم ، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها ، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال ، فإنه يتبين أنه زنديق ، وعامة الزنادقة إنما يتسترون بمذهبيهم ، وقد ظهرت لله فيهم مثلات ، وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازي في المحيا والممات (لاحظ لفظه : تواتر النقل !؟) ، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك " ..

يذكر ابن كثير – توفي في عام 774 هـ - في جامع المسانيد والسنن (ص 125) عن رأيه في علي ومعاوية ، فيقول ما يلي :
" وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، أن عليا هو المصيب وإن معاوية هم المجتهد ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله قال : إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر " ..

ثم يضيف ابن كثير في نفس المصدر (ص 126) الكارثة الكبيرة في إن قتل الإمام الحسين كان اجتهادا لأنه خرج على الإجماع (كأنه لا يدري أنه كان إجماع السيف والقهر واستعباد المسلمين !) ويخلى مسئولية يزيد منه بل يلتمس له العذر ، فيقول - وتعليقنا بين الأقواس - ما يلي :

" وقد تأول عليه (أي علي الحسين) من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه ، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك والتحذير منه ... ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك (أي لم يرض بقتل الحسين ، فلماذا أرسل جيشه لقتاله !؟) والله أعلم ، ولا كرهه (هذه الغاز : لم يرض ولم يكره قتل الحسين !) ... وقد لعن ابن زياد على فعله وشتمه فيما يظهر ويبدو ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه (شتمه ولم يعاقبه ولم يعزله ، كأن الأمر بسيط !!) " ..

ونختم أقوال ابن تيمية في نفس المصدر (ص 586) بقوله ما يلي :

" أما من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء ، وأما من لعن وقبح مطلقا ، فهذا محل الخلاف فيهم ، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد ، وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره ، فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضي عنهم والثناء عليهم " ..

نحتاج أن نضع تلك الملاحظة في عدة نقاط لتعدد ما قاله ابن تيمية ، كما يلي :

1- إذا وصفت صحابيا بالبخل ، فأنت تستحق التأديب طبقا لمفهوم ابن تيمية ، ولا تسأله عن أية : " فقدموا يدي نجواكم صدقة " والتي تقرر في الآية التي تليها أن بخل بعضهم قد وقع : " أشققتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات " ..

2- إذا شككت في صحابي (مثل الصحابي شيبث بن ربعي الذي قاتل الإمام الحسن في كربلاء) فإنك طبقا لمفهوم ابن تيمية زنديق ، ووجهك قد يمسح إلى خنزير في المحيا والممات ..

لا تسأل ابن تيمية عن الصحابي سمرة بن جندب الذي تاجر بالخمير في عهد عمر وقتل ثمانية آلاف في عهد الأمويين في العراق واشترى بآيات الله ثمنا قليلا من معاوية ، ولا عن شرب الخمر للوليد بن عقبة الذي صلى بالمسلمين الفجر أربع ركعات وهو يترنج سكرًا ، وغض ابن عمه – الخليفة الثالث – الطرف عنه !

3- إذا سببت صحابيا فإنك طبقا لمفهوم ابن تيمية كافر وزنديق ، ولا تسأله في الحكم على الخليفة الثالث الذي قال لعمار (الذي واعد النبي وأسرته على الجنة) : يا ابن المتكء ، يا ابن عاض إير (العضو الذكرى) أبيه !!

4- إذا قلت أن بعض الصحابة قد ارتد ، فأنت طبقا لمفهوم ابن تيمية كافر ، ولا تسأله عن أية آل عمران : " أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " ، ولا عن حديث الحوض المتواتر بالصحيحين الذي يؤكد أن الناجين من الصحابة (لاحظ النص : هُمّل

النعم) سيكونون كالأنعام القليلة العدد المتبعدة عن بقية الجمع ، ولا عن حديث مسلم بصحيحه : " في أصحابي إثنا عشر منافقا ، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة .."

5- إذا كان من يسب صحابيا يخرج ابن تيمية من الملة ، فلماذا يروّج بأن الصحابة كانوا يسبون عليا؟! ألم تقل - كذبا - بمنهاج السنة (ج 7 ص 137 / 138) : " ولم يكن كذلك علي ، فإن كثيرا من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونونه ويقاتلونه "؟! أيهما أكثر عمقا : الشك في صحابي الذي تكفرون فاعله ، أم السب في الإمام على الذي تغضون الطرف عنه ، السب في صحابي الذي تكفرون فاعله أم قتال الإمام علي وإزهاق أرواح تسعين ألف مسلم في صفين؟! ما حكم سيدك معاوية يا ابن تيمية الذي شرّع لعن الإمام علي (ع) على المنابر طوال عهد الأمويين ، بل وقتل من رفض لعنه وقطع العطاء عن أي مسلم يسمى ابنه باسم علي؟!!

6- أنصار نظرية " عدالة الصحابة " يطبقون نظرية " اجتهد وأخطأ " على كل أنصارهم ، فلماذا لا يطبقونها على من شك في إسلام أنصارهم من الصحابة أيضا؟! أليس فيهم من شرب الخمر وتاجر بها ، وفيهم من قتل وزنا وسرق؟!!

7- حتى أولئك الذين قتلوا سبط النبي (ص) وابن بنته وسيد شباب أهل الجنة (ع) وجد لهم ابن كثير مخرجا ! وتجراً ابن العربي المالكي بقول فاحش وخالي من الأدب (يختلف عن ابن عربي الصوفي) وقال : قتل الحسين بسيف جده ! وهو يعلم أن هذا الحديث (اجتهد وأصاب ... اجتهد وأخطأ) الذي يبررون به جرائمهم قد زعمه عمرو بن العاص ابن النابغة عن النبي ، وهو من لعنه النبي.. بل إن ابن كثير يرفع جريمة قتل الحسين عن يزيد ويقول (لم يرض بذلك) ، فهل خرج وأعلن توبته أم كان يضرب رأس الحسين بقضيب في دمشق أمام ابنه الإمام علي (ع)؟! وهل يستطيع ابن كثير أن يرفع أيضا عن سيده يزيد ما فعله في الحرة بعد عام من قتله الحسين حين اغتصب جنده أغلب نساء المدينة وقتلوا الآلاف من رجالها؟!!

8- قامت حرب الجمل بسبب قتل الخليفة الثالث عثمان ، وراح ضحيتها 20 ألفا من المسلمين ، وقامت حرب صفين لنفس الغرض وراح ضحيتها 90 ألفا من المسلمين ، فلماذا لا تطبقون نظريتكم (اجتهد وأخطأ) على الذين قتلوا عثمان أيضا؟!!

9- يا أصحاب الدين والثقافة ، يا أصحاب العدل ، يا أصحاب القيم الإنسانية : ألا يعتبر هذا إرهابا فكريا وظلما أوصل المسلمين إلى قاع الأمم ، وجعلنا مضحكة أمامهم؟! ألا توجد آثار ذلك في حياتنا الحديثة حيث يتصيد الحاكم الأخطاء لمعارضيه ويترك مؤيديه يرتكبون الجرائم ، ويأتي رجال القانون (علماء السلطان في حالتنا هنا) يباركون فعله ويشرعون لصالحه؟!..

في الحلقة القادمة إن شاء الله سواصل الحديث عن نظرية " عدالة الصحابة " الأموية ، فإلي لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

: تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي

www.thowarmisr.com